غَايَةُ ٱلنَّفْعِ

فِي شَرْحِ حَدِيثِ

تَمْثِيلِ ٱلْمُؤْمِنِ بِخَامَةِ ٱلزَّرْعِ

دار اللباب

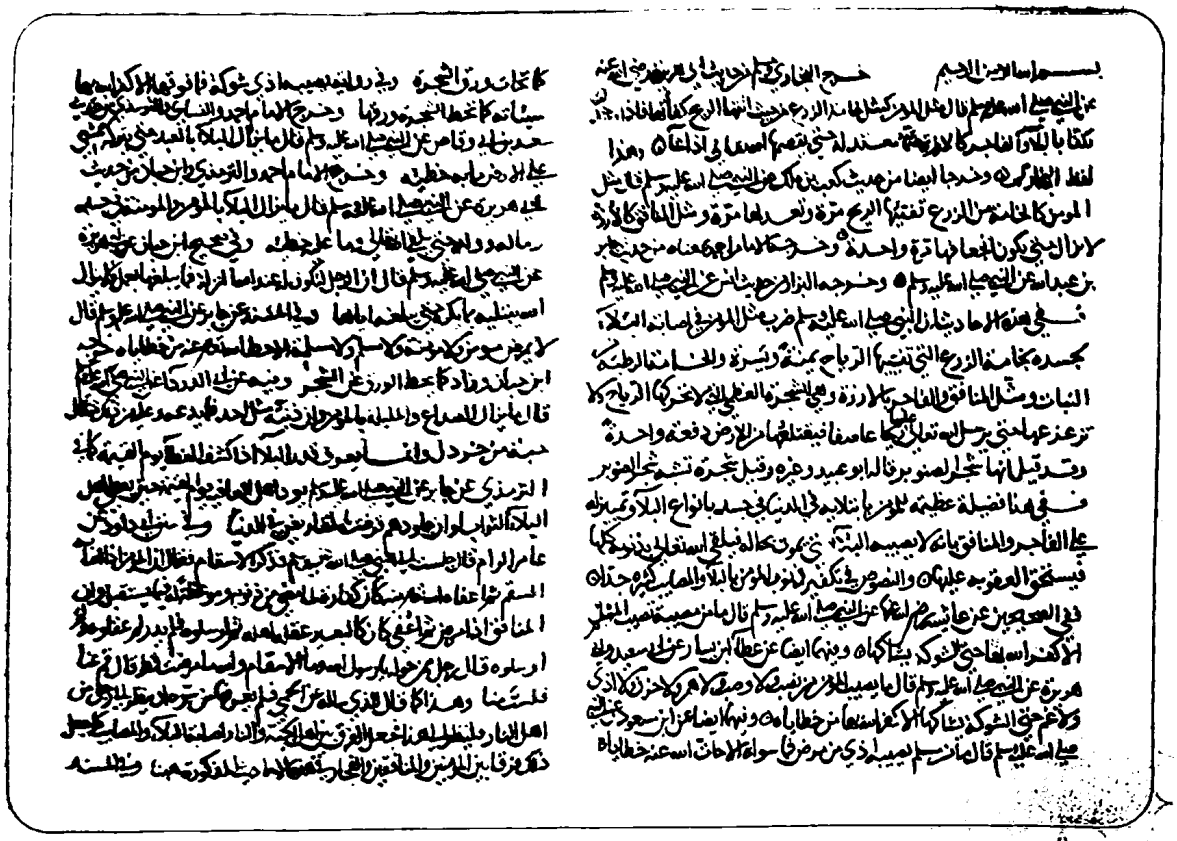

مكتبة المسجد الأقصى (ق)

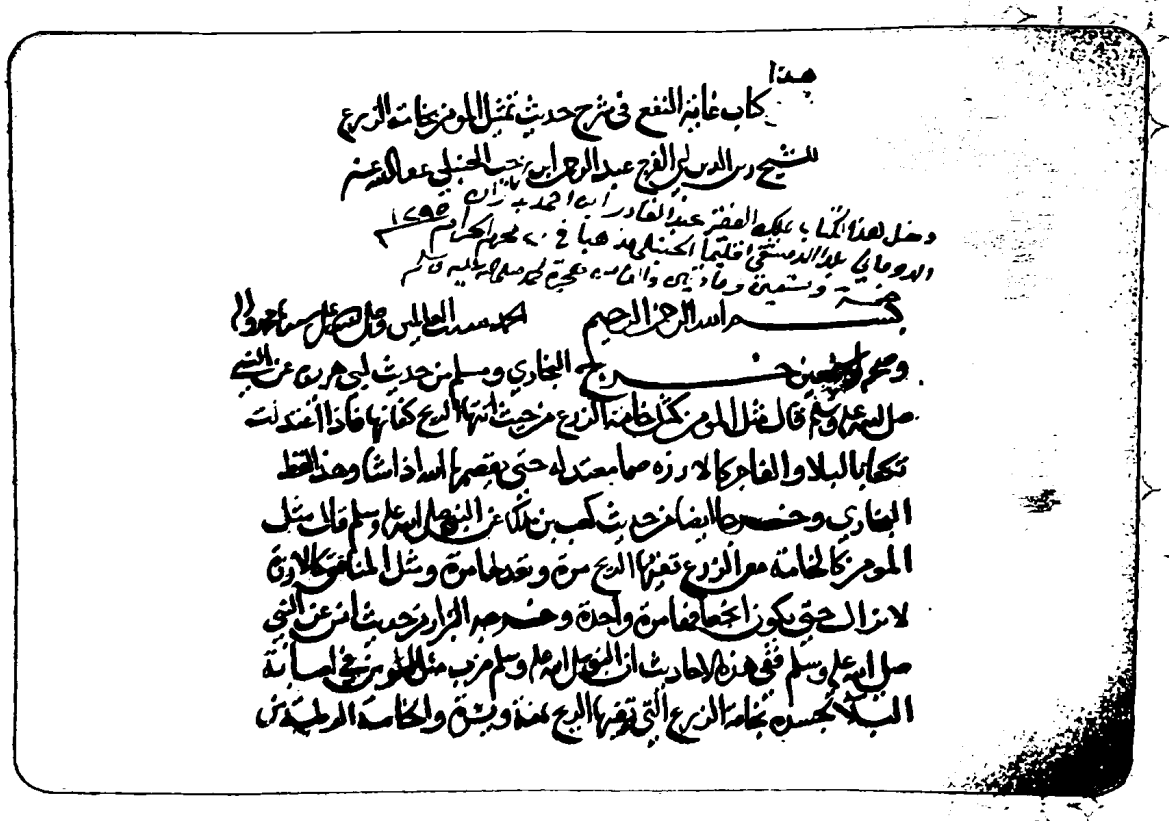

جامعة في القدس ـ نسخة الشيخ عبد القادر بدران (ب)

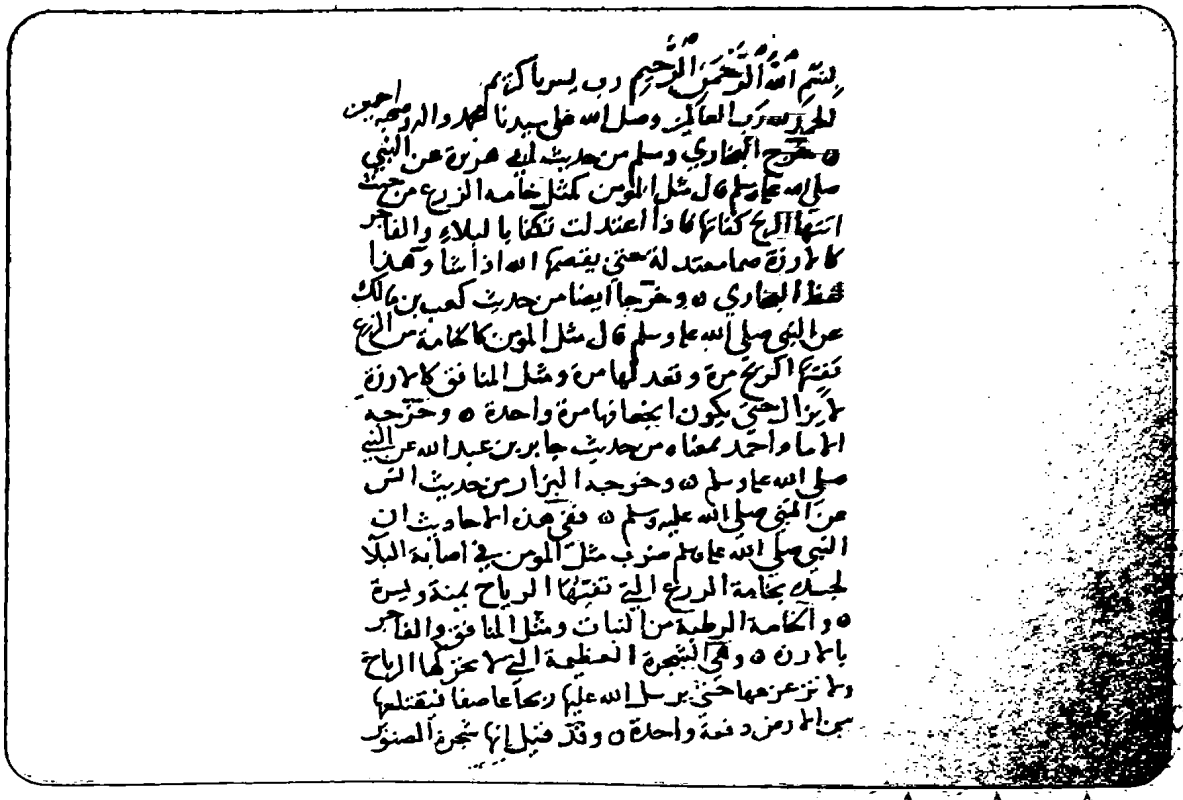

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
٥ خرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث
أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر
كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء وهذا
لفظ البخاري ٥ وخرجا أيضا من حديث كعب بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كالخامة من الزرع
تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة ومثل المنافق كالأرزة
لا يزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة ٥ وخرجه
الإمام أحمد بمعناه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم ٥ وخرجه البزار من حديث أنس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥ ففي هذه الأحاديث أن
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثل المؤمن في إصابة البلاء
لجسده بخامة الزرع التي تفيئها الرياح بمنة ويسرة
٥ والخامة الرطبة من النبات ومثل المنافق والفاجر
بالأرزة ٥ وهي الشجرة العظيمة التي لا تحركها الرياح
ولا تزعزعها حتى يرسل الله عليها ريحا عاصفا فتقتلعها
من الأرض دفعة واحدة ٥ وقد قيل إنها شجرة الصنوبر

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

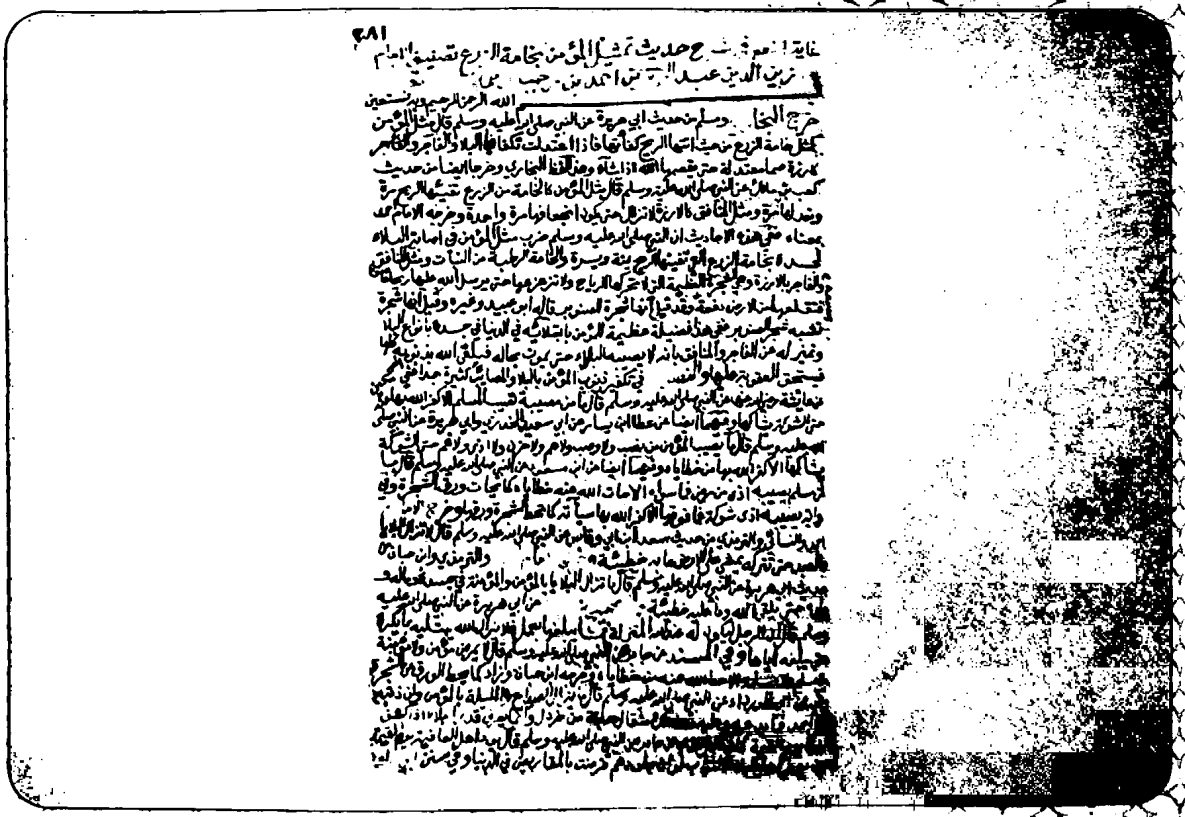

٢٨١
غاية المعرفة في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع تصنيف الإمام
زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب رحمه الله
بسم الله الرحمن الرحيم
خرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن
كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرزة
صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء وهذا لفظ البخاري وخرجا أيضا من حديث
كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة
وتعدلها مرة ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة وخرجه الإمام أحمد
بمعناه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه البزار من حديث أنس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ففي هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثل المؤمن في إصابة البلاء
لجسده بخامة الزرع التي تفيئها الريح بمنة ويسرة والخامة الرطبة من النبات ومثل المنافق
والفاجر بالأرزة وهي الشجرة العظيمة التي لا تحركها الرياح ولا تزعزعها حتى يرسل الله عليها ريحا عاصفا فتقتلعها
من الأرض دفعة واحدة وقد قيل إنها شجرة الصنوبر قاله ابن عبيد وغيره وقيل إنها شجرة
تشبه شجرة الصنوبر وهذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بالبلاء
وغيره له من الفاجر والمنافق بأنه لا يصيبه البلاء حتى يوبق بحاله فيلقى الله عز وجل وقد
فاته الخير العظيم وهو ما يستحق المؤمن في تكفير ذنوبه بالبلاء والمصائب كثيرة جدا في الصحيحين
من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي طلحة وأبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفيها أيضا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفيها أيضا عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يصيب المسلم نكبة فما فوقها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وفي الصحيحين عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وفي المسند عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري وأبي طلحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله سابغ النِّعم، دافعِ النِّقم، وليِّ مَنْ ظُلِم، حسيب مَنْ ظَلَم، وصلى الله على سيدنا محمد سيد العَرب والعجم، وعلى آله وصحبه هداة الأمم، وعلى من اقتفى أثرهم فَعَلِمَ وَعَلَّم.

أما بعد:

ففي هذه الرسالة النافعة جواب عما يتساءَلُه كثير من شباب المسلمين اليوم، حول ما يمر به أهل الإسلام عامة من ابتلاءات، وشدائد، ومصائب، ومحن، وأهوال، وخوف، وجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

وأما أهل الكفر فهم في رغد عيش، وبذخ، وترف، ورفاهية، وتَنَعُّم وتَبسُّط في الأموال والشهوات!!

أورد المصنف رحمه الله تعالى فيها من الأحاديث الشريفة ما يجيب عن تلك التساؤلات المُلِحَّة، وأنَّ من فضيلة المؤمن: ابتلاؤه في الدنيا في جسده بأنواع البلاء والمصائب، فيكون ذلك كفارة لذنوبه في الدنيا.

وأما الفاجر والمنافق فلا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله؛ فيلقى الله تعالى بذنوبه كلها فيستحق العقوبة عليها.

وما الأمة إلا مجموع أفرادها يصيبها ما أصابهم وتبتلى بابتلاءاتهم.

قال الفيومي في «فتح القريب المجيب»: «وقد يجهل بعض الناس؛ فيظن أن شدة البلاء وكثرته إنما ينزل بالعبد لهوانه على الله تعالى، وهذا لا يقوله إلا من أعمى الله قلبه، بل العبد يبتلى على حسب دينه كما في الحديث. قال سفيان الثوري: ليس بفقيه من لم يَعُدَّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة»(١).

وإنما هذا بعد وقوع البلاء بقدر الله، وإلا فلا ينبغي سؤال البلاء، ولا تمني المكروهات.

قال الهادي ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية»(٢).

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

* * *

ذكر هذا الكتاب للمصنف رحمه الله: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضَّد» (ص: ٥٠)، والروداني في «صلة الخَلَف» (ص: ٢٧٦).

وقد اعتمدت في إخراجه على أربع نسخ خطية:

١ـ نسخة المسجد الأقصى ـ فـرّج الله عنه وعن أهله ـ، ورمزها (ق)، وهي الرسالة السادسة في ضمن مجموع برقم (١٤٦)، وقد تقدم التعريف به في المقدمات، وتقع في (٥) لوحات (٥٦/ أ ـ ٦٠/ ب). لم يُذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها، لكنه من خطوط القرن التاسع الهجري.

---

(١) نقله الشيخ عبد القادر بدران على ظهر نسخته من هذا الكتاب، ونسبه إلى الدَّميري في «حياة الحيوان»! وإنما هو في «فتح القريب المجيب» للفيومي (١٣/ ٣٦٥).

والحديث المشار إليه، هو الذي رواه الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقول سفيان أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٥ من زيادات نعيم).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

٢ـ نسخة الشيخ عبد القادر بدران، ورمزها (ب).

وهي في جامعة بالقدس برقم (٧٤١)، وتقع في (٧) أوراق، وقبلها ورقة كتب فيها الشيخ عبد القادر بدران الدومي الحنبلي، المتوفى سنة ١٣٤٦ رحمه الله عنوان الرسالة وبعض الفوائد، وفي ظهرها كتب ترجمة للمصنف من «المقصد الأرشد» لابن مفلح، وزاد فائدة:

«قال محمد الكناني بخطه على حاشية المذكور: قلت: وقد زرته، ومكتوب عليه: هذا قبر الحافظ ابن رجب، وهو لصيق الشيرازي الحنبلي، والله أعلم».

ثم ذكر بعض كتبه ونقل عن ابن قاضي شهبة.

وكتب في الورقة الأولى: «دخل هذا الكتاب بملك الفقير عبد القادر بن أحمد بدران الدوماني بلداً، الدمشقي إقليماً، الحنبلي مذهباً في ٢٠ محرم الحرام سنة ١٢٩٥ خمس وتسعين ومئتين وألف من هجرة محمد ﷺ».

وله بعض التعليقات أثبتها في الحواشي.

لم يذكر اسم ناسخ الرسالة، ولا تاريخ نسخها، لكنه من خطوط القرن التاسع الهجري.

٣ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة السابعة عشرة في ضمن المجموع (٥١٣٨)، وتقدم التعريف به في المقدمات، وتقع في (٩) لوحات (٢٢١/ ب ـ ٢٢٩/ أ) بخط عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي وفرغ من كتابة المجموع بتمامه ٥ ربيع الأول ٨٩٣.

٤ـ نسخة جامعة الرياض، ثم جامعة الملك سعود، ورمزها (ع).

وهي الرسالة الثالثة عشرة من المجموع (١٦٣٧) وقد سبق التعريف به في المقدمات، وتقع في (٣) ورقات من (ص:٢٨١ إلى ص: ٢٨٦) بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، فرغ من كتابتها ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٤.

وثمة نسخة خامسة إلا أنا لم نقابل بها لتأخرها:

وهي من وقف الشيخ محمد عبد اللطيف، وكانت في مكتبة الرياض العامة السعودية (٨٦/ ٥٢٧) وهي في ضمن مجموع فيه رسائل للحافظ ابن رجب، وقد سبق في المقدمات التعريف به، وهي الرسالة الثامنة منه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ربِّ يسِّرْ يا كريمُ[1]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعين.

خرَّجَ البخاريُّ ومسلمٌ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ المؤمنِ كمثلِ خَامَةِ[2] الزَّرعِ مِنْ حيثُ أتتْها الرِّيحُ كَفَأَتْها[3]، فإذا اعتدلَتْ تَكَفَّأُ بالبلاءِ، والفاجرُ كالأَرْزَةِ صمَّاءَ معتدِلةً حتَّى يَقصِمَها اللهُ إذا شاءَ». وهذا لفظُ البخاريِّ[4].

وخرَّجا أيضاً مِنْ حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مثَلُ المؤمنِ كالخامَةِ مِنَ الزَّرعِ، تُفَيِّئُها[5].....

---

(١) جاء في (ع) بدل الدعاء: «وبه نستعين».

(٢) في «صحيح البخاري»: «الخامة من الزرع».

(٣) كفأتها: أمالتها. «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١٣)، وفي رواية أبي ذر من «صحيح البخاري»: «كَفَتْها» بتسهيل الهمزة.

(٤) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في المرضى (٥٦٤٤)، ولفظه في التوحيد (٧٤٦٦) يُبَيِّنُ معناه: «فإذا سكنتْ اعتدلت، وكذلك المؤمن يُكَفَّأ بالبلاء». وأخرجه من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم في صفات المنافقين (٢٨٠٩).

(٥) أي: تميلها؛ وزنه ومعناه. «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١٠) من (فيأ): (مَيَّل). ويحتمل أن تكون مخففة تُفِيئُها من (أفاء) (أمال)، وضبطناها بالتشديد تبعاً للأكثرين، والله أعلم.

الرِّيحُ مرَّةً وتَعْدِلُها مرَّةً، ومثَلُ المنافقِ كالأَرْزَةِ لا تزالُ[١] حتَّى يكونَ انجِعافُها[٢] مرَّةً واحدةً»[٣].

وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ بمعناهُ مِنْ حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٤].

وخرَّجَه البزَّارُ مِنْ حديثِ أنسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٥].

ففي هذه الأحاديثِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ضربَ مثَلَ المؤمنِ في إصابةِ البلاءِ لجسدِه بخامةِ الزَّرعِ الَّتي تُفَيِّئُها الرِّيحُ[٦] يَمنةً ويَسرةً ـ والخامةُ: الرَّطْبَةُ مِنَ النَّباتِ ـ ومثَلَ المنافقِ والفاجرِ بالأَرْزَةِ، وهي الشَّجرةُ العظيمةُ الَّتي لا تحرِّكُها الرِّياحُ ولا تُزعزِعُها؛ حتَّى يرسلَ اللهُ تعالى عليها ريحاً عاصفاً فيقتلعَها[٧] منَ الأرضِ دَفْعةً واحدةً.

وقد قيلَ: إنَّها شجرةُ الصَّنَوْبَرِ، قالَه أبو عُبيدٍ[٨] وغيرُه[٩].

وقيلَ: إنَّها شجرةٌ تُشْبِه شجرَ الصَّنَوْبَرِ[١٠].

---

(١) في (ف): «لا يزال».

(٢) أي: انقلاعها. «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١١).

(٣) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٤٣) واللفظ له، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨١٠) من طرق.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢٣ (١٤٧٦١، ١٥١٥٤، ١٥٢٤٥) بلفظ: «مثل المؤمن كمثل السنبلة تخر مرةً وتستقيم مرةً، ومثل الكافر مثل الأرز لا يزال مستقيماً حتى يخر ولا يشعر».

(٥) أخرجه البزار ١٣ (٦٨٩٣ ـ ٧٢١٧ ـ ٧٢١٨) ولفظ الموضع الأول: «مثل المؤمن كمثل السنبلة تميل أحياناً وتقوم أحياناً».

(٦) في (ق) و(ف): «الرياح».

(٧) في (ع): «فتقلعها».

(٨) أحمد بن محمد الهروي في كتاب: «الغريبين» له (١/ ٦٥).

(٩) كابن سيده في «المحكم والمحيط الأعظم» (٩/ ٧٨).

(١٠) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٧/ ١٥٣). وهذا القيل ذكره النووي عن أهل اللغة والغريب في «شرح مسلم» (١٧/ ١٥٣). والصنوبر والأزر من فصيلة واحدة فيها أجناس متباينة.

ففي هـذا فضيلةٌ عظيمةٌ للمؤمنِ بابتلائِه في الدُّنيا في جسدِه بأنواعِ البلاءِ، تمييزٌ له على الفاجرِ والمنافقِ بأنَّه لا يُصيبُه البلاءُ حتَّى يموتَ بحالِه، فيلقى اللهَ تعالى بذنوبِه كلِّها، فيستحقَّ العقوبةَ عليها.

والنُّصوصُ في تكفيرِ ذنوبِ المؤمنِ بالبلاءِ والمصائبِ كثيرةٌ جدًّا.

ففي «الصَّحيحين» عن عائشةَ رضي الله عنها عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما مِن مُصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ إلَّا كفَّر اللهُ بها عنه، حتَّى الشَّوكةِ يُشاكُها»(١).

وفيهما أيضاً عن عطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ وأبي هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما يُصيبُ المؤمنَ مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ حتَّى الشَّوكةِ يُشاكُها إلَّا كفَّر اللهُ بها مِنْ خطاياهُ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٤٠) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٢) من طرق كثيرة بألفاظ متعددة.

(٢) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ولفظه: «ما يصيب المسلم» وباقيه سواء، ومسلم في البر والصلة بألفاظ أخرى (٢٥٧٣)، وعنده: «المؤمن». في حاشية (ب) بخط الشيخ عبد القادر بدران الحنبلي رحمه الله: قوله: «وَصَبٌ» أي مرض، والوصب دوام الوجع ولزومه، وقد يُطلق على التعب والفتور.

و«النَّصَب»: بفتح النون والصاد المهملة: التعب.

و«الهم» توقُّع المكروه وقد ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به.

و«الحزن»: وهو على فوات محبوب وقد ينشأ لفقد ما يشق على المرء فقده.

و«الغمّ»: الوقوع في المكروه، وهو كرب يحصل بسبب ما حصل.

وقيل: الهم والغم بمعنى واحد. وقال الكرماني: الغم يشمل جميع أنواع المكروهات لأنهما بسبب ما يعرض للبدن أو النفس، والأول إما بحيث يخرج عن المجرى الطبيعي أولا، والثاني إما أن يلاحظ فيه الغير وإما أن يظهر فيه الانقباض أو لا وإما بالنظر إلى الماضي أو لا.

و«الأذى» أعم مما قبله، وعطف الأعم على الأخص لا يُسأل عنه.

و«يُشاكها»: أي يشوكه غيره بها.

وفيهما أيضاً عن ابنِ مسعودٍ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما مِنْ مسلمٍ يُصيبُه أذىً - مِنْ مرضٍ فما سِواه - إلَّا حاتَّ اللهُ عنه خطاياه كما تَحاتُّ ورقُ الشَّجر»(١).

وفي روايةٍ: «يُصيبُه أذىً: شوكةٌ(٢) فما فوقَها إلَّا كفَّرَ اللهُ بها سيِّئاتِه كما تحُطُّ الشَّجرةُ ورقَها»(٣).

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرمذيُّ مِنْ حديثِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما يزالُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يتركَه(٤) يمشي على الأرضِ ما به خطيئةٌ»(٥).

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ وابنُ حبَّانَ مِنْ حديثِ أبي هريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما يزالُ البلاءُ(٦) بالمؤمنِ والمؤمنةِ في جسدِه ومالِه وولدِه حتَّى يلقى اللهَ وما عليه خطيئةٌ»(٧).

وفي «صحيحِ ابنِ حبَّانَ» عن أبي هريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ الرَّجلَ لَتكونُ

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٤٧) واللفظ له إلا الجملة المعترضة فهي مدرجة من رواية مسلم في البر والصلة (٢٥٧١)، وفي (ب) و(ق): «ورق الشجرة».

(٢) في حاشية (ب) بخط الشيخ عبد القادر بدران: «جوَّزوا فيها الحركات الثلاث».

(٣) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٤٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (ع): «لا تزال البلايا بالعبد حتى تتركه»، وفي (ف): «بالعبد البلاء».

(٥) مدار الحديث على عاصم بن بهدلة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه. ووقع هنا تلفيق بين ألفاظ وجوهه. أخرجه في سياق حديث: الإمام أحمد ٣ (١٦٠٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الطب (٧٤٣٩)، ولفظهم: «فما يبرح البلاء بالعبد». وأخرجه الإمام أحمد من وجوه أخر ٣ (١٤٨١، ١٤٩٤، ١٥٥٥).

(٦) في (ع): «ما تزال البلايا».

(٧) أخرجه الإمام أحمد ١٣ (٧٨٥٩)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٩) وقال: حسن صحيح، وابن حبان ٧ (٢٩٣١، ٢٩٢٤)، واللفظ للموضع الأخير منه.

له عند اللهِ المنزلةُ فما يبلُغُها بعملٍ، فلا يزالُ اللهُ يبتليه بما يكرَه حتَّى يُبلِّغَه إيَّاها»[١].

وفي «المسندِ» عن جابرٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يمرضُ مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ ولا مسلمٌ ولا مسلمةٌ إلَّا حطَّ اللهُ عنه مِنْ خطاياهُ»[٢].

وخرَّجَه ابنُ حبَّانَ، وزادَ: «كما يحُطُّ الورقُ عنِ الشَّجر»[٣].

وفيه عن أبي الدَّرداءِ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما يزالُ الصُّداعُ والمليلةُ[٤] بالمؤمنِ وإنَّ ذنبَه مثلُ أُحُدٍ، فما يدعُه وعليه مِنْ ذلكَ مثقالُ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ»[٥].

وإنَّما يُعرَفُ قدرُ البلاءِ إذا كُشِفَ الغِطاءُ يومَ القيامةِ، كما في التِّرمذيِّ عن جابرٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يودُّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ حين يُعطى أهلُ البلاءِ الثَّوابَ لو أنَّ جلودَهم قُرِضَتْ بالمقاريضِ في الدُّنيا»[٦].

وفي «سُننِ أبي داودَ» عن عامرٍ الرَّامِ قال: جلستُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فذكرَ الأسقامَ، فقال: «إنَّ المؤمنَ إذا أصابَه السَّقَمُ ثمَّ أعفاه اللهُ منه كانَ كفَّارةً لما مضى مِنْ ذنوبِه،

---

(١) أخرجه ابن حبان ٧ (٢٩٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٣ (١٤٧٢٥، ١٥١٤٦)، واللفظ هنا ملفق من الموضعين.

(٣) في (ع): «الشجرة». والحديث أخرجه ابن حبان ٧ (٢٩٢٧)، ولفظه: «كما تنحط الورقة عن الشجرة».

(٤) في «النهاية» لابن الأثير (ملل): «المليلة: حرارة الحمَّى، ووهجها، وقيل: هي الحمى التي تكون في العظام».

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٣٦ (٢١٧٢٨، ٢١٧٣٧) وفيه ابن لهيعة.

(٦) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٤٠٢) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن مسروق قوله شيئاً من هذا». ومدار الحديث على الأعمش، وانفرد عبد الرحمن بن مغراء بروايته عنه هكذا. وقد تكلم علي بن المديني في حديثه عن الأعمش. انظر: «تقريب التهذيب» لابن حجر.

وموعظةً له فيما يَستقبلُ، وإنَّ المنافقَ إذا مرِضَ ثمَّ أُعْفِيَ كانَ كالبعيرِ عَقَلَه أهلُه ثمَّ أرسلوه، فلَمْ يدرِ لِمَ عقَلوه ولِمَ أرسلوه»، فقالَ رجلٌ ممَّنْ حولَه: يا رسولَ الله، وما الأسقامُ؟ واللهِ ما مرضتُ قطُّ، قال: «قُمْ عنَّا فلستَ منَّا»(١)(٢).

وهذا كما قالَ للَّذي سألَه عنِ الحُمَّى فلمْ يعرِفْها: «مَنْ سرَّه أنْ ينظُرَ إلى رجلٍ مِنْ أهلِ النَّارِ فلينظرْ إلى هذا»(٣)، فجعلَ الفَرْقَ بينَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ إصابةَ البلاءِ والمصائبِ، كما جعلَ ذلك فرْقاً بين المؤمنين والمنافقين والفُجَّارِ في هذه الأحاديثِ المذكورةِ ها هنا.

---

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز (٣٠٨٣) في ضمن حديث طويل، وفي سنده مبهم.

(٢) في حاشية (ب) بخط الشيخ عبد القادر بدران الحنبلي:

أخرج أحمد وصححه أبو عوانة والحاكم من طريق عبد الرحمن بن شيبة العبدري أن أم المؤمنين أخبرته أن رسول الله ﷺ طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه ويشتكي فقالت له عائشة رضي الله عنها: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه، فقال ﷺ: «إن الصالحين يشدد عليهم، فإنه لا يصيب المؤمن نكبة تشوكه إلا كتب الله بها حسنة أو حط عنه بها خطيئة». [أخرجه أحمد (٢٥٢٦٤) (٢٥٨٠٤)، وأبو عوانة (١١٢٢٦) والحاكم (٣/ ٣١٩) وصححه].

ولمسلم: ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته». ولفظ البخاري: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب». [أخرجه مسلم (٢٥٧٣)، والبخاري (٥٦٤١) وعنده: المسلم، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة].

عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيد في بلائه، وإن كان في دينه رِقّة خفف عنه، لا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض وليس عليه خطيئة». رواه الترمذي [(٢٣٩٨)] بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح. [وأخرجه أحمد (٤١٨١)].

(٣) أخرجه الإمام أحمد ١٤ (٨٣٩٥، ٨٧٩٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٥) وغيرهما.

وفي «المسندِ» عن أبي هريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه ذَكَرَ أهلَ النَّارِ فقالَ: «كلُّ شديدٍ جَعْظَرِيٍّ[١]، همُ الَّذين لا يألَمون رؤوسَهم»[٢].

وفي «المسندِ» عن أنسٍ: أنَّ امرأةً أتتِ النَّبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللهِ! ابنةٌ لي كذا وكذا ـ ذكرَتْ حُسْنَها وجمالَها ـ آثرتُكَ بها، قال: «قد قبلتُها»، فلَمْ تزَلْ تمدحُها حتَّى ذكرَتْ أنَّها لم تَصْدَعْ ولم تشتكِ شيئاً قطُّ، قال: «لا حاجةَ لي في ابنتكِ»[٣].

وخرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا مِنْ وجهٍ آخرَ مرسلاً، وفيه قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا حاجةَ لنا في ابنتكَ، تجيئُنا تحملُ خطاياها، لا خيرَ في مالٍ لا يُرْزأُ منه، وجسدٍ لا يُنالُ منه»[٤].

---

(١) في «النهاية» لابن الأثير (جعظر) «الجعظري: «الفظ الغليظ المتكبر»، وقيل: هو الذي ينتفخ بما ليس عنده، وفيه قِصَر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٤ (٨٨٢١، ١٠٥٩٨) وهذا لفظه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٢٠ (١٢٥٨٠).

(٤) لعله مما رواه ابن أبي الدنيا عن ابن سعد، وهو أحد من يروي طبقاته، والخبر في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٤٩) من حديث التابعي عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: جاء رجل من بني سليم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن لي ابنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك، فهمَّ النبي ﷺ أن يتزوجها، ثم قال: وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندي مرض قط، فقال له النبي ﷺ: «لا حاجة لنا في ابنتك، تجيئنا تحمل خطاياها، لا خير في مال لا يُرزأ منه، وجسد لا يُنال منه». وأخرج ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٥٧)، وفي «الصبر والثواب عليه» (١٨١) من حديث أبي سعيد الخدري قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كبرت سني، وسقم جسدي، وذهب مالي، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في جسد لا يبتلى، ولا خير في مال لا يرزأ منه، إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، وإذا ابتلاه صبره». قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥/ ٢٥٥): «بإسناد فيه لين».

وروى بإسنادِه عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قالَ: طلَّقَ خالدُ بنُ الوليدِ امرأتَه ثمَّ أحسنَ عليها الثَّناءَ، فقيلَ له: يا أبا سليمانَ، لِأيِّ شيءٍ طلَّقْتَها؟ قال: ما طلَّقْتُها لأمرٍ رابَني منها، ولكنْ لم يُصِبْها عندي بلاءٌ[١].

وبإسنادِه عن عمَّارِ بنِ ياسرٍ أنَّه ذُكِرَ الأوجاعُ، فقال أعرابيٌّ عنده: ما اشتكيتُ قطُّ، فقال عمَّارٌ: ما أنتَ مِنَّا، أو لستَ مِنَّا، إنَّ المسلمَ يُبتلى ببلاءٍ، فتُحَطُّ عنه ذنوبُه كما تحُطُّ الشَّجرةُ ورقَها، وإنَّ الكافرَ والفاجرَ يُبتلى ببلاءٍ، فمَثَلُه مثَلُ البعيرِ أُطلِقَ فلَمْ يدرِ لِمَ أُطلِقَ، وعُقِلَ فلَمْ يدرِ لمَ عُقِلَ[٢].

وبإسنادِه عن كَعْبٍ قالَ: أجدُ في التَّوراةِ لولا أنْ يحزَنَ عبدي المؤمنُ لعَصَبْتُ[٣] الكافرَ بعِصابةٍ مِنْ حديدٍ لا يصدعُ أبداً[٤].

وعن الحسنِ قال: كان الرَّجلُ منهم أو مِنَ المسلمين إذا مرَّ به عامٌ لم يُصَبْ في نفسِه ولا في مالِه قال: ما لنا؟ أتَوَدَّعَ اللهُ منَّا؟![٥].

وقال الحسنُ: إنَّما أنتم بمنزلةِ الغَرَضِ يُرمى كلَّ يومٍ، ليسَ مِنْ مَرْضةٍ إلَّا قد أصابَتْكم منه رميةٌ، عقَلَ مَنْ عقَلَ، وجهِلَ مَنْ جهِلَ، حتَّى تجيءَ الرَّميةُ الَّتي لا تُخطئُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٥).

(٣) في (ع): «لعصب».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠٢).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٥٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» ١٢ (٩٤٤٨).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٦).

وعن صالحِ بنِ مِسْمارٍ أنَّه دخلَ على مريضٍ يعودُه، فقال له: إنَّ ربَّكَ قد عاتبكَ فأَعْتِبْهُ[١].

وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّه كان إذا رأى النَّاقِهَ[٢] قال له: وفَّيْتَ لربِّكَ[٣].

ورُوِيَ مرفوعاً مِنْ حديثِ خوَّاتِ بنِ جُبيرٍ، وإسنادُه ضعيفٌ[٤].

وقال الحسنُ في أيَّامِ الوَجَعِ: أما واللهِ ما هو بِشَرِّ أيَّامِ[٥] المسلمِ أيَّامٌ قُرِّبَ له فيها أجلُه، وذُكِّرَ فيها ما نسِيَ مِنْ معادِه، وكُفِّرَ بها عنه خطاياه[٦].

وكانَ إذا دخلَ على مريضٍ قد عُوفيَ قال له: يا هذا، إنَّ الله تعالى قد ذكرَكَ فاذكُرْه، وأقالَكَ فاشكُرْه[٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٨٦).

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (نقه): «نَقِه المريضُ يَنْقَه، فهو ناقِهٌ، إذا برئ وأفاق، وكان قريب العهد بالمرض، لم يرجع إليه كمال صحته وقوته».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٤) بلفظ: «مرضت فأتيت رسول الله ﷺ فقال: «صح جسمك يا خوَّات»، قلت: وجسمك يا رسول الله فصح، قال: «أوفِ والله بما وعدته»، قلت: يا رسول الله! ما وعدت الله شيئًا، قال: «بلى، ما من مريض يمرض إلا وهو يحدث نفسه بخير، فَفِ لله بما وعدتَه». وفي سنده: محمد بن الحجاج المصفَّر البغدادي: متروك. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر (٧/ ٥٣).

(٥) تصحفت هذه اللفظة في بعض المطبوعات إلى «يَسُرّ أيامَ» ولا يستقيم معناه.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥٥، ١٥٧)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥١٩)، وفي مطبوعته عدة تصحيفات.

(٧) هذا الأثر لم أقف عليه مسنداً، ولم أجده في المصادر؛ إلا في لحق كتبه أحد النساخ لكتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، بعد ترجمة الحسن البصري، في وفيات (١١٠هـ)، وليس هو من كتاب «البداية والنهاية».

فهذه الأسقامُ والبلايا والأوجاعُ كلُّها كفَّاراتٌ للذُّنوبِ الماضيةِ، ومواعظُ للمؤمنين حتَّى يتَّعظوا بها، ويرجعوا بها في المستقبلِ عنْ سيِّئِ[1] ما كانوا عليه.

قال الفضيلُ: إنَّما جُعِلَتِ العِللُ ليؤدَّبَ بها العبادُ، ليس كلُّ مَنْ مرِضَ ماتَ[2].

وإلى هذا المعنى الإشارةُ بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

ولبعضِ المتقدِّمين:

أفي كلِّ عامٍ مَرْضةٌ ثم نَقْهةٌ ... وتَنعي ولا تُنعى متى ذا إلى متى[3]

واعلم: أنَّ تمثيلَ المؤمنِ بالزَّرعِ وتمثيلَ المنافقِ والفاجرِ بالشَّجرِ العِظامِ يشتملُ على فوائدَ جليلةٍ، نذكرُ ما يسَّرَ اللهُ منها:

فمنها: أنَّ الزَّرعَ ضعيفٌ مُسْتَضْعَفٌ، والشَّجرَ قويٌّ مستكبرٌ متعاظِمٌ، فالشَّجرُ لا يتأذَّى مِنْ حَرٍّ ولا بَرْدٍ، ولا مِنْ كثرةِ ماءٍ ولا مِنْ ريحٍ، والزَّرعُ بخلافِ ذلك، وهذا هو الفرقُ بين المؤمن والكافر، وبين أهل الجنَّة والنَّار، كما في «الصَّحيحين» عن حارثةَ بنِ وَهْبٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ألا أُخبرُكم بأهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعَّفٍ لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه، ألا أخبرُكم بأهلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[4].

---

(١) في (ب) و(ف): «شيء ما».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٨) في ترجمة الفضيل رحمه الله.

(٣) نسب البيت لأبي العيص الجرمي في «الأغاني» للأصفهاني (١٨/ ١٥٨)، ونسب لعمران بن حطان الخارجي في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٤٦)، وغيره.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير (٤٩١٨)، وفي الأدب (٦٠٧١)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٥٧)، ومسلم في كتاب الجنة (٢٨٥٣).

وفي «المسندِ» عن أبي هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ألا أُنَبِّئكم بأهلِ الجنَّةِ؟ قالوا: بلى، قالَ: «الضُّعفاءُ المغلوبون، ألا أُنَبِّئكم بأهلِ النَّارِ؟»، قالوا: بلى، قالَ: «كلُّ شديدٍ جَعْظَرِيٍّ، همُ الَّذين لا يَأْلَمون رؤوسَهم»[١].

وخرَّجَه أيضاً بمعناه مِن حديثِ سُراقةَ بنِ مالكٍ[٢]، وعبدِ الله بنِ عَمرٍو[٣] وغيرِهما.

وفي[٤] «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «تحاجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت الجنَّةُ: ما لي لا يدخلُني إلَّا ضُعفاءُ النَّاسِ[٥] وسَقَطُهم، وقالت النَّارُ: ما لي لا يدخلُني إلَّا الجبَّارون والمتكبِّرون» الحديث[٦].

وقد وردَ في القرآنِ تشبيهُ المنافقين بالخُشُبِ المسَنَّدةِ مع حُسنِ منظرِهم، فقال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]، فوصفَهم بحُسنِ الأجسامِ وتمامِها، وحُسنِ المقالِ وفصاحتِه، حتَّى يُعجِبَ منظرُهم مَنْ رآهم، ويسمعَ قولَهم مَنْ سمِعَه سماعَ إصغاءٍ وإعجابٍ به، ومع هذا فبواطنُهم خرابٌ ومعانيهم فارغةٌ، فلهذا مثَّلَهم بالخُشُبِ المسنَّدةِ الَّتي لا رُوحَ فيها[٧] ولا إحساسَ، وقلوبُهم مع هذا ضعيفةٌ في غاية الضَّعفِ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، وقد تقدم طرف منه آنفاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٩ (١٧٥٨٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد ١١ (٦٥٨٠، ٧٠١٠).

(٤) في (ع): «وخرجاه» بدل قوله «وغيرهما. وفي».

(٥) في (ف): «الضعفاء من».

(٦) أخرجه بنحوه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم في كتاب الجنة (٢٨٤٦).

(٧) في (ع): «لها».

يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم؛ لأنَّهم لمـَّا أضمروا خلافَ ما أظهروا خافوا الاطِّلاع عليهم، فكلَّما سمعوا صيحةً ظنُّوا أنَّها عليهم، وهكذا كلُّ مريبٍ يُظهِرُ خلافَ ما يُضمِرُ يخافُ مِنْ أدنى شيءٍ ويحسبُه عليه.

وأمَّا المؤمنُ، فبعكسِ هذه الصِّفاتِ، غالبُهم مُسْتضعَفون في ظاهرِ أجسامِهم ولباسِهم وكلامِهم؛ لأنَّهم اشتغلوا بعمارةِ قلوبِهم وأرواحِهم عن عمارةِ أجسادِهم، فقلوبُهم قويَّةٌ ثابتةٌ عامرةٌ، فيكابدون بها الأعمالَ الشَّاقَّةَ في طاعة الله مِنَ الجهادِ والعباداتِ والعلومِ وغيرِها ممَّا لا يستطيعُ المنافقُ مكابدتَه لضعفِ قلبِه، ولا يخافون مِنْ ظهور ما في قلوبِهم إلَّا خشيةَ الفتنةِ على نفوسِهم، فإنَّ بواطنَهم خيرٌ مِنْ ظواهرِهم، وسرائرهم[1] أصلحُ مِنْ علانيتِهم.

قال سليمانُ التَّيميُّ: أتاني آتٍ في منامي، فقالَ: يا سليمانُ، إنَّ قوَّةَ المؤمنِ في قلبِه[2].

فالمؤمنُ لمَّا اشتغلَ بعمارةِ قلبِه عن عمارةِ قالبِه استُضعِفَ ظاهرُه، وربَّما ازدُريَ به، ولو علِمَ النَّاسُ ما في قلبِه لمـَا فعلوا ذلك.

قال عليٌّ رضي الله عنه لأصحابه: كونوا في النَّاس كالنَّحلِ في الطَّيرِ، كلُّ الطَّيرِ تستضعفُها، ولو علِموا ما في جوفِها ما فعلوا[3].

ومِنْ قوَّةِ قلبِ المؤمنِ وثباتِه أنَّه ثابتٌ على الإيمانِ، فالإيمانُ الَّذي في قلبه مَثَلُه كمثلِ شجرةٍ طيِّبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماءِ، فيعيشُ على الإيمان ويموتُ

---

(١) في (ب) و(ف) و(ع): «وسرهم».

(٢) نقله عن سليمان التيمي أيضاً: ابن الخراط الإشبيلي في «الصلاة والتهجد» (ص: ٣٦٣)، وهذا المعنى منقول عن غير واحد من السلف رحمهم الله.

(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٠٩).

عليه[١] ويُبعَثُ عليه، وإنَّما الرِّياحُ وهي بلايا الدُّنيا تقلبُ جسمَه يَمْنةً ويَسْرةً وقلبُه لا تصلُ إليه الرِّياحُ؛ لأنَّه محروسٌ بنورِ الإيمانِ، والكافرُ والمنافقُ والفاجرُ بعكس ذلك، جسمُه قويٌ، لا تقلبُه رياحُ الدُّنيا، وأمَّا قلبُه فإنَّه ضعيفٌ تتلاعبُ به الأهواءُ المضلَّةُ، فتقلبُه[٢] يَمْنةً ويَسْرةً، فلذلك كانَ مَثَلُ قلبِه كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّتْ مِنْ فوق الأرضِ ما لها مِنْ قرارٍ، كشجرةِ الحَنْظَلِ ونحوِه ممَّا ليسَ له أصلٌ ثابتٌ في الأرض.

وقال عليٌّ رضي الله عنه في صفة الهَمَجِ الرَّعاعِ: أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلون معَ كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ، ولم يَلجؤوا منه إلى رُكْنٍ وثيقٍ[٣].

وبهذا يظهرُ الجمعُ بين حديثِ تمثيلِ المؤمنِ بخامةِ الزَّرعِ والكافرِ[٤] بشجرة الأَرْزِ، وبين حديثِ تمثيلِ المؤمنِ بالنَّخلةِ، فإنَّ الممثَّلَ بالزَّرعِ جسدُه لتوالي البلاءِ عليه، والممثَّلَ بالنَّخلةِ إيمانُه وعملُه وقولُه، يدلُّ عليه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فجعلَها مثلاً لكلمةِ الشَّهادةِ الَّتي هي أصلُ الإسلامِ، وثبوتُها في قلب المؤمنِ كثُبوتِ أصلِ النَّخْلةِ في الأرضِ، وارتفاعُ عملِ المؤمنِ إلى السَّماءِ كارتفاعِ النَّخْلةِ، وتجدُّدُ عملِ المؤمنِ كلَّ حينٍ كإيتاءِ النَّخْلةِ أُكُلَها كلَّ حينٍ[٥].

---

(١) في (ع): «على الإيمان».

(٢) في (ف): «فنقلته».

(٣) جاءت العبارة في (ف): «ولم يلجؤوا منه إلا إلى ركن غير وثيق». وهذا الأثر جزء من وصية علي رضي الله عنه لكُميل بن زياد. أخرجها أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٠٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٨، ٥٠/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) من طرق.

(٤) في (ع): «والفاجر».

(٥) في حاشية (ب) بخط الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله [مصححاً ما فيه]:

عن أبي موسى: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول: «من كان له عمل يعمله، فشغله

= عنه مرض أو سفر، فإنه يكتب له صالح عمله الذي كان يعمله وهو صحيح مقيم» أخرجه البخاري [٢٩٩٦] بمعناه [وهذا اللفظ عند أبي داود (٣٠٨٤)].

أخرجه أحمدُ [(١٧١١٨)] من طريق إسماعيل بن عياش، عن راشد بن داود الصنعاني، والطبراني في «الكبير» [(٧١٣٦)]، والأوسط [(٤٧٠٦)] عن أبي الأشعث الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق، وهجَّر بالرواح، فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه رضي الله عنهما، فقلت أين تريدان يرحمكما الله؟ فقالا: نريد ههنا إلى أخ لنا مريض نعوده، فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، فقالا له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بنعمة، فقال شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقول: إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدني على ما ابتليته ... فأجروا كما كنتم تجرون له». وهو حديث صحيح.

وظواهر هذه الأحاديث: أن المؤمن تكتب له طاعاته التي كان يعملها لولا العذر. قال القرطبي: ولا ينبغي أن يختلف في ذلك. قال في «الفروع» [(٣/ ٧٧)] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من نوى الخير، وفعل ما يقدر عليه منه كان له كأجر الفاعل، ثم احتج بحديث أنس عند الإمام أحمد [(١٢٠٠٩)] قال: قال رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك: «إن بالمدينة قوماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» وفي بعض ألفاظ صحيح البخاري [(٢٨٣٩)] قال: «إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه» أي في ثوابه، وفي لفظ: «إلا وهم معكم فيه بالنية»، وفي رواية عند ابن حبان [(٤٧١٤)] وأبي عوانة [(٧٨٩٧)] عن جابر: «إلا شركوكم في الأجر» قالوا: «يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر، وفي «صحيح مسلم» [(١٩١١)]: «حبسهم المرض»، وفي «سنن أبي داود» [(٢٥٠٠)] أن النبي ﷺ قال: «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم» قالوا: يا رسول الله وكيف يكونون معنا، وهم بالمدينة؟ قال: «حبسهم المرض».

وأنشد الحافظ ابن رجب في «اللطائف»:

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر ومن عدم ... ومن أقام على عذر كمن راحا

وقد رُوِيَ عن أبي هريرةَ: أنَّ المؤمنَ الضَّعيفَ مثَلُه كزرعٍ[١]، والقويَّ مثَلُه كمثلِ النَّخلةِ[٢].

وخرَّجَه البزَّارُ[٣] وغيرُه مرفوعاً، ولا يصحُّ رفعُه، إنما هو موقوفٌ، قاله الدَّارَقُطْنيُّ[٤] وغيرُه.

ومنها: أنَّ ثمرةَ الزَّرعِ ـ وهو السُّنْبُلُ ـ يُستَضعفُ ويَطْمَعُ فيه كلُّ أحدٍ لقربِ تناولِه، فيَطْمَعُ الآدميُّ في الأكلِ منه وفي قَطْعِه وسرقتِه، والبهائمُ في رعيِه، والطَّيرُ في الأكل منه، وكذلكَ المؤمنُ يُستضعَفُ فيعاديه عمومُ النَّاسِ؛ لأنَّ «الإسلامَ بدأَ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباءِ»[٥]، فعمومُ الخلقِ يستضعفُه ويستغربُه ويؤذيه لغربتِه بينهم.

وأمَّا الكافرُ أو المنافقُ أو الفاجرُ الَّذي كالصَّنَوْبَرةِ، فإنَّه لا يُطْمَعُ فيه، فلا الرِّياحُ تُزعزعُ بدنَه، ولا يُطمَعُ في تناولِ ثمرتِه لامتناعِها.

وفي كتاب «الزُّهد» للإمام أحمدَ عن عصام بنِ يحيى الحَضْرَميِّ قالَ: شكا

---

(١) في (ع): «مثل الزرع».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٥ (٣٠٩٨٣) من رواية بشير بن نَهيك، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجد الحديث في «مسند البزار» مرفوعاً بذكر الزرع مثالًا للمؤمن الضعيف. وقد انفرد بروايته مرفوعاً سليمان بن أيوب صاحب البصري، عن حماد بن زيد، عن علي بن سويد بن منجوف عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» (٣٠٦)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٣٣٢). والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٥٧).

(٤) في «العلل» ٩ (١٦٤٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحواريُّون إلى المسيحِ عليه السلام مِنْ ولَعِ النَّاسِ بهم وبُغْضِهم إيَّاهم، فقال المسيحُ عليه السلام: كذلك المؤمنون مُبَغَّضُون[١] في النَّاسِ، وإنَّما مثَلُهم كمثلِ حبَّةِ القَمْحِ، ما أحلى مذاقَها وأكثرَ أعداءَها[٢].

وقال كعبٌ: في التَّوراةِ: ما كانَ حكيمٌ قطُّ في قومٍ إلَّا بَغَوا عليه وحسَدوه[٣].

وكان خيثمةُ يقولُ كلاماً معناه: إنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ أجتهدُ في نفعِه وهو يجتهدُ في أذاي، إنَّه لا يُحِبُّ منافقٌ مؤمناً أبداً[٤].

ومنها: أنَّ المؤمنَ يمشي معَ البلاءِ كيفما مشى به، فيلينُ له، فيُقَلِّبُه البلاءُ يَمْنةً ويَسْرةً، فكلَّما أدارَه استدارَ معه، فتكونُ عاقبتُه العافيةَ مِنَ البلاءِ وحسنَ الخاتمةِ، ويُوقى مِيتةَ السُّوءِ، فلهذا كانَ مثَلُه كمثلِ السُّنْبُلةِ، تُفَيِّئُها الرِّياحُ يَمْنةً ويسرةً، فلا تضرُّه الرِّياحُ، كما في أمثالِ العرب: (إذا رأيتَ الرِّيحَ عاصفاً فتَطامَنْ)[٥]، أي: إذا رأيتَ الأمرَ عالياً[٦] فاخضعْ له.

وقال الحُكماءُ: لا يُرَدُّ العدوُّ القويُّ بمثلِ الخضوعِ له، ومثَلُه مثَلُ الرِّيحِ

---

(١) في (ع): «مبغوضون».

(٢) لم أجده في كتاب «الزهد» للإمام أحمد.

(٣) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (١٨٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١٦) بنحو معناه من كلام خيثمة بن عبد الرحمن.

(٥) انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ١٧٠).

(٦) في (ع): «غالباً».

العاصفِ يَسْلَمُ منها الزَّرعُ للينِه لها وانثنائِه معها، وينقصفُ فيها[١] الشَّجرُ العِظامُ لانتصابِها لها.

فالفاجرُ[٢] لقوَّتِه وتعاظُمِه يتقاوى على الأقدارِ، ويَستعصي عليها، كشجرةِ الصَّنَوْبَرِ الَّتي تَستعصي على الرِّياحِ ولا تنطاعُ[٣] معها، فتُسَلَّطُ عليه ريحٌ عاصفٌ[٤] لا يقوى عليها، فتقلعُه من أصلِه بعروقِه فتهلكُه.

وهذا كما حكى اللهُ عزَّ وجلَّ عن عادٍ قال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ الآيتين [فصلت: ١٥ ـ ١٦].

فالمؤمنُ لمَّا تواضعَ لعظمةِ اللهِ وصبرَ على بلائِه كانت عاقبتُه الحسنى، وسَلِمَ في الدُّنيا والآخرةِ مِنَ البلاءِ، وكانتِ العاقبةُ له، والفاجرُ لمَّا تكبَّرَ وتعاظمَ وتقاوى على أقدارِ اللهِ تعالى عجَّلَ اللهُ عقوبتَه، فسلَّطَ عليه[٥] بلاءً يستأصِلُه، ولا يقدِرُ على الامتناعِ منه، كالشَّجرِ العِظامِ الَّتي تقتلعُها الرِّياحُ بعروقِها.

قال بعضُهم:

إنَّ الرِّياحَ إذا عَصَفْنَ فإنَّما ... تُولِي الأذيَّةَ شامخَ الأغصانِ[٦]

---

(١) في (ع): «ويتقصف منها»، وفي «جمهرة الأمثال»: «تتقصف فيها». وهذه الجمل منقولة منه.

(٢) في (ع): «فإن الفاجر».

(٣) في (ع): «تطامح».

(٤) في (ع): «قاصف».

(٥) في (ف): «فيُسَلَّطُ»، وفي (ق) «فتسلَّطَ».

(٦) البيت لابن الدهان النحوي سعيد بن المبارك الأنصاري نسبه له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» =

ولغيرِه[١]:

مَنْ أخملَ النَّفسَ أحياها ورَوَّحَها ... ولم يَبِتْ طاوياً منها على ضَجَرِ

إنَّ الرِّياحَ إذا اشتدَّتْ عواصفُها ... فليس ترمي سوى العالي مِنَ الشَّجرِ[٢]

ومنها: أنَّ الزَّرعَ وإنْ كانت كلُّ طاقةٍ منه ضعيفةً ضئيلةً إلَّا أنَّه يتقوَّى بما يخرُجُ معه وحوله ويعتضِدُ به، بخلاف الشَّجرِ العِظامِ، فإنَّ بعضَها لا يشُدُّ بعضاً، وقد ضربَ اللهُ تعالى مثَلَ نبيِّه ﷺ وأصحابِه بالزَّرعِ لهذا المعنى قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].

قولُه: «أخرجَ شَطْأَه»: أي: فِراخَه. «فآزرَه»: أي: ساواه فصار مثلَ الأمِّ وقويَ به. «فاستغلظ»: أي: غلُظَ. «واستوى على سوقِه»: جمعُ «ساقٍ»، فالزَّرعُ مَثَلُ النَّبيِّ ﷺ إذْ خرَجَ وحدَه، فأيَّدَه[٣] بأصحابِه وهم شَطْأُ الزَّرعِ، كما قوَّى الطَّاقةَ مِنَ الزَّرعِ بما نبتَ منها حتَّى غلُظَتْ واستحكمَتْ.

وفي الإنجيل: سيخرُجُ قومٌ ينبُتون نباتَ الزَّرعِ[٤].

وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، فالمؤمنون بينهم ولايةٌ،

= (٣/ ١٣٧٠)، والقفطي في «إنباه الرواة». (٢/ ٤٩). وعندهما: «إذا عصفن رأيتها...».

(١) في (ع): «وقال غيره».

(٢) البيتان لجعفر بن الفضل المعروف بابن حنزابة الوزير وليس له غيرهما، كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (٨/ ١٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢/ ١٤٢).

(٣) في (ع): «فأمده».

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٣٠) من تفسير قتادة لقوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهي مودَّةٌ ومحبَّةٌ باطنةٌ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ لأنَّ المؤمنين قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ فيما يعتقدونه منَ الإيمان، وأمَّا المنافقون فقلوبُهم مختلفةٌ، كما قال تعالى ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، فأهواؤُهم مختلفةٌ، ولا ولايةَ بينهم في الباطن، وإنَّما بعضُهم منْ جنس بعضٍ في الكفرِ والنِّفاقِ.

وفي «الصَّحيحين» عن النَّبيِّ ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشُدُّ بعضُه بعضاً» وشبَّكَ بين أصابعه[1].

وفيهما أيضاً عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مثَلُ المؤمنين في توادِّهمْ وتراحُمِهمْ وتعاطُفِهمْ كَمَثَل[2] الجسدِ الواحدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعى له سائرُه بالحُمَّى والسَّهَرِ»[3].

ومنها: أنَّ الزَّرعَ يُنتَفَعُ به بعدَ حَصادِه، فإنَّه يحصِدُه أربابُه، ثمَّ يبقى منه بعدَ حَصادِه ما يلتقطُه المساكينُ، وترعاه البهائم، وتأكلُه الطَّيرُ، وربَّما استُخْلِفَ بعضُه، فأُخرِجَ منه ثانيةً، ويقعُ منه مِنَ الحَبِّ ما ينبُتُ مراراً، وهكذا مثَلُ المؤمنِ يموتُ ويخلفُ ما يُنتفَعُ به[4] مِنْ علمٍ نافعٍ، وصدقةٍ جاريةٍ، وولدٍ صالحٍ يُنتَفَعُ به، وأمَّا

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٨١)، وفي المظالم (٢٤٤٦)، وفي الأدب (٦٠٢٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) في (ع): «مَثَلُ».

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) في (ع): «منه».

الفاجرُ فإذا انقطعَ[١] مِنَ الأرضِ لمْ يبقَ فيه نفعٌ، بل ربَّما أثَّرَ ضرراً، فهو كالشَّجرةِ المُنْجَعِفَةِ[٢] لا تصلُحُ إلَّا لوَقيدِ النَّارِ.

ومنها: أنَّ الزَّرع يُبارِكُ في حَبِّه[٣] كما ضربَ اللهُ تعالى مثَلَ حبَّةٍ أنبتتْ سبْعَ سنابلَ في كلِّ سُنْبُلةٍ مائةُ حبَّةٍ، واللهُ يُضاعِفُ لمَنْ يشاءُ[٤]، وليس الشَّجرُ كذلكَ؛ لأنَّ كلَّ حبَّةٍ ممَّا يُغْرَسُ منه لا تزيدُ على نباتِ شجرةٍ واحدةٍ منها.

ومنها: أنَّ الحَبَّ الَّذي ينبُتُ منه الزَّرعُ هو قوتُ الآدميِّين، وغذاءُ أبدانِهم، وسببُ حياةِ أجسادِهم، فكذلك الإيمانُ هو قوتُ القلوبِ، وغذاءُ الأرواحِ، وسببُ حياتِها، ومتى فقدَتْه القلوبُ ماتَتْ، وموتُ القلوبِ لا يُرجى معه حياةٌ أبداً، بل هو هلاكُ الدُّنيا والآخرةِ، كما قيل:

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بميْتٍ ... إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ[٥]

فلذلك شبَّهَ المؤمنَ بالزَّرعِ حيثُ كان الزَّرعُ حياةَ الأجسادِ، والإيمانُ حياةَ الأرواحِ.

وأمَّا ثمرُ بعضِ الأشجارِ العِظامِ كالصَّنَوْبَرِ ونحوِه، فليس له كثيرُ[٦] نفعٍ، وربَّما لا يتضرَّرُ بفَقْدِه، فلذلك مَثَّلَ الفاجرَ أو المنافقَ بهذه الشَّجرةِ لقلَّةِ نفعِ ثَمَرِها.

---

(١) في (ع): «فإذا انقلع».

(٢) من «انجعف» مطاوع «جعف»، أي: انقطع.

(٣) في (ق) و(ف): «حمله»، وفي (ع): «في حمله مبارك».

(٤) قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(٥) البيت لعدي بن رعلاء الغساني كما في «الأصمعيات» (ص: ١٥٢)، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص: ٣١٥).

(٦) في (ع): «كبير».

الدُّنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافرِ[١]، فصاحبُ السِّجنِ لا يزالُ في بلاءٍ حتَّى يخرُجَ منه، فإذا خرجَ مِنَ السِّجنِ أفضى إلى الرَّخاءِ والنَّعيمِ الدَّائمِ، وصاحبُ الجنَّةِ إذا خرجَ منها وقعَ في السِّجنِ الدَّائمِ، إذا صُبغَ أنعَمُ النَّاسِ كان في الدُّنيا صَبْغةً في العذابِ، فقيل له: هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ قالَ: لا، يا ربِّ، وإذا صُبغَ أبْأَسُ النَّاسِ كان في الدُّنيا في النَّعيمِ صَبْغةً، ثمَّ قيل له: هل مرَّ بك بؤسٌ قطُّ؟ قال: لا، يا ربِّ[٢].

ما كأنَّه تعِبَ مَنِ استراحَ، ولا استراحَ مَنْ تَعِبَ.

فما هي إلَّا ساعةٌ ثمَّ تنقضي ... ويذهبُ هذا كلُّه ويزولُ[٣]

لا يجدُ أهلُ الجنَّةِ مِنْ ألَمِ تعَبِ[٤] الدُّنيا شيئاً، بل ينقلِبُ راحةً أبديَّةً:

جميعُ آلامِ لَسْعِ النَّحلِ يُذْهِبُها ... ما يَجتني المُجْتَني مِنْ لذَّةِ العَسَلِ[٥]

مَنْ طَمِعَ في الوصولِ إلى المعالي، صبَرَ على مواصلَةِ نَصَبِ النَّهارِ بسَهَرِ اللَّيالي.

مَنْ أرادَ غداً قُرْبَنا، فليصبِرِ اليومَ على ألَمِ ضَرْبِنا، فما يُحِسُّ بألمِه مَنْ صدَقَ في حُبِّنا.

لا بُدَّ مِنَ البَلوى والاختبارِ؛ ليتبيَّنَ الصَّادقُ اليومَ مِنَ الكاذبِ، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

---

(١) أخرجه مسلم في «الزهد» (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مقتبس من حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم في صفة القيامة (٢٨٠٧).

(٣) أصل البيت للبهاء زهير المصري، وهو في «ديوانه» (ص: ٢١٠).

(٤) في (ع): «نصب».

(٥) لم أجد هذا البيت عند غير المصنف رحمه الله.

الرَّاحةُ لا تُنالُ بالرَّاحةِ.

لـولا المشـقَّةُ سـادَ النَّـاسُ كُلُّهُمُ الجـودُ يُفْقِـرُ والإقـدامُ قَتَّـالُ[1]

مراتبُ الدُّنيا لا تُنالُ إلَّا بالصَّبرِ على البلاءِ في طلَبِها والمجاهدةِ، فكيفَ مَنْ أرادَ مَقْعَدَ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِرٍ.

كَمْ صبروا حتَّى قَدَروا! كَمْ غضُّوا حتَّى نظروا!

ما وصلوا إلى المنزلِ إلَّا بعدَ طُولِ السُّرى[2].

ما نالوا لذَّةَ الرَّاحةِ إلَّا بعدَ أنْ صبروا على المشقَّةِ.

لـو قُـرِّبَ الـدُّرُّ علـى جُلَّابِه[3] مـا لَجَّـجَ الغائـصُ فـي طِلابِـه

ولو أقـامَ لازِمـاً أَصْـدافَـه لـمْ تكُـنِ التِّيجـانُ فـي حِسـابِه

مـا لؤلـؤُ البحـرِ ولا مَرْجانُـه إلَّا وراءَ الهـولِ مِـنْ عُبابِـه[4]

مَـنْ يعشَـقِ العليـاء يلـقَ عندها مـا لقيَ المحـبُّ مِـنْ أحبابِه[5]

مـا حظـيَ الدِّينـارُ بنَقْشِ اسـمِ الملِـكِ عليه حتَّـى صبرَتْ سـبيكتُه علـى النَّارِ، فنفَـتْ عنهـا كلَّ كـدَرٍ، ثـمَّ صبَـرَتْ علـى تقطيعِهـا دنانيرَ، ثـمَّ صبرَتْ علـى ضربِها

---

(١) البيت للمتنبي. انظر: «ديوانه» (٤٩٠).

(٢) تصحفت في (ع) إلى: «السجن». و«السُّرى»: السير بالليل.

(٣) في (ع): «طلابه».

(٤) هنا تنتهي نسخة (ع). وكتب ناسخها بعده: «آخر ما وجدنا، والحمد لله أولًا وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. تم ذلك بمعونة الله في اليوم الثاني عشر من ربيع أول سنة (١٣٣٤) بقلم الفقير إلى الله عبد الله بن إبراهيم الربيعي».

(٥) الأبيات من قصيدة لعلي بن الحسن المعروف بصردر يمدح بها الوزير أبا نصر محمد بن محمد بن جهير. انظر: «ديوان صردر» (ص: ٦٤).

على السِّكَّةِ، كذلكَ قلبُ المؤمن يصبرُ على مِحْنةٍ بعد مِحْنةٍ حتَّى يُرقَمَ عليه نقشُ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

كمْ أُصبِحُ والهاً وأُمسي قلِقا ... والحزنُ وقلبي قلَّ أنْ يفترِقا

مِنْ بعدِ الصَّفْوِ عادَ عَيْشي رَنِقا[1] ... كمْ يَصْبِرُ قلبي ليتَه ما خُلِقا[2]

غيره:

يا مَنْ بحبالِ حُبِّه أَمْتَسِكُ ... صَبْرٌ مُفْتَضِحٌ وسِتْرُه مُنْهَتِكُ

هذا قلبي أعزُّ ما أمتلِكُ ... عَذِّبْه فما عليك منه دَرَكُ[3]

غيره:

هذا قلبي وربعُه قد أقوى ... ما يحسنُ بي إلَّا إليكَ الشَّكْوى

أنتَ المُبْلي فكنْ مُزيلَ البَلْوى ... ما يُسْعِدُ ذا الضَّعيفَ إلَّا الأقوى[4]

---

(١) رَنِقاً: كدراً، وتصحفت في النسخ إلى: «رتقا».

(٢) لم أقف على قائله، وهو من الرباعيات (الدوبيت). وأورده ابن الجوزي أيضاً في «مرافق الموافق في الوعظ» (ص: ٧٧).

(٣) هذا من الرباعيات (الدوبيت) ينسب لعماد الدين الأصبهاني الكاتب. فيما جُمع من ديوانه. وأورده ابن الجوزي غير منسوب إلى أحد في «مرافق الموافق في الوعظ» (ص: ٣٣). وفيه:

صبري خاف وسرُّه منهتكُ...

وهو أولى مما هنا.

(٤) البيتان من بحر الدوبيت، وهما لأبي علي بن خليفة الدَّوَوي، أوردهما العماد الكاتب الأصبهاني في «خريدة القصر وجريدة العصر»، قسم العراق (٢/ ٢٦٢). وشطره الأول ثمة:

يا من أدعو فيستجيب الدعوى

آخره والحمدُ لله وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمد وآلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين[1].

* * *

(١) الترضي في (ب) وحدها.